الغزالي في دمشق والقدس

(١)

لا تزال إقامة الغزالي في دمشق والقدس مفتقرة إلى تحقيق ، رغماً عن كثرة ما كتب عن حياته وعن مؤلفاته في اللغة العربية وفي اللغات الأوربية . ولا يزال بعض الكتاب في الشرق والغرب يكرر ما جاء عن هذه الإقامة في كتاب « المنقذ من الضلال » ، على اختصاره وغموضه . دون تحقيق أو تفصيل . ولم نقف على بحث خاص بإقامة الغزالي في ديار الشام ونتائجها ، حتى في الكتاب الذي ضمّ مجموعة الخطب والمقالات التي أُلفت بمناسبة الذكرى المئوية التاسعة لميلاده . ومقالتنا هذه هي محاولة في هذا السبيل .

كان الغزالي في الثامنة والثلاثين من عمره عندما ترك التدريس في المدرسة النظامية في بغداد ، وأعلن عزمه الخروج إلى الحج . قال في المنقذ : « فلم أزل أتردد بين تجاوب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريباً من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين وأربعمئة ... وأظهرت عزم الخروج إلى مكة ، وأنا أدبر في نفسي سفر الشام ... ففارقت بغداد ... ثم دخلت الشام ، وأقمت به قريباً من سنتين ، لا شغل لي إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة ... وكنت اعتكف مدة في مسجد دمشق ، أصعد منارة المسجد طول النهار ، وأغلق بابها على نفسي . ثم رحلت منها إلى بيت المقدس ، [فكنت] أدخل كل يوم [مسجد قبة] الصخرة ، وأغلق بابها على نفسي . ثم تحركت في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

داعية فريضة الحج ، والاستمداد من بركات مكة والمدينة ، وزيارة رسول الله تعالى عليه السلام ، بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه . فسرت إلى الحجاز . ثم جذبتني الهمم ودعوات الأطفال إلى الوطن فعاودته ... »(١)

لم يكن الغزالي مؤرخاً ، ولم يلتزم في الكتابة عن إقامته في ديار الشام وسفره إلى الحجاز التسلسل التاريخي . فقوله « أقمت به قريباً من سنتين » قد يكون إشارة إلى كل مدة إقامته في الشام قبل الحج وبعده ، وقد لا يكون كذلك . وزاد الأمر لبساً قوله ، بعد ذكر العودة إلى الوطن وإيثار العزلة : « فدمت على ذلك مقدار عشر سنين » . فهل هذا يشير إلى مدة العزلة بعد العودة فقط ، أو إلى مدتها كلها من ترك التدريس في نظامية بغداد إلى العودة إليه في نظامية نيسابور ؟ ولكن الذي يعنينا في هذا البحث هو تاريخ العودة إلى بغداد ، فهذا التاريخ مهم لإثبات مدة الإقامة في ديار الشام .

والروايات في ذلك متضاربة . يقول السبكي (٢) نقلاً عن خطيب نيسابر عبد الغفار (٣) الفارسي الذي عرف الغزالي ، إن هذا أقام في الشام « قريباً من عشر سنين » . وجاء مثل ذلك في رواية نقلها السبكي عن الذهبي عن ابن عساكر (٤) . ويمكن الاعتراض على كل من الروايتين : فالأولى عن معاصر ، ولكنها وردت في كتاب عاش مؤلفه بعد الغزالي بنحو قرنين ، ولا ذكر لراوٍ بين المعاصر الراوي والمؤلف الناقل . أما الرواية الثانية

(١) المنقذ من الضلال (مطبعة عطايا بالقاهرة – تعليق وتصحيح محمد محمد جابر ، من علماء الأزهر) ، ص ٤٧ – ٤٩ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (مطبوعة القادري الحسني . القاهرة ، ١٣٢٤) ، ج ٤ ، ص ١٠٧ .

(٣) خطيب نيسابور عبد الغافر (المجلة)

(٤) تاريخ دمشق (مخطوط القاهرة رقم ٤٩٢) ، ورقة ٣٤٣ ، كما نقل في كتاب « مؤلفات الغزالي » لعبد الرحمن بدوي (القاهرة ، ١٩٦١) ، ص ٥٠٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فهي عمّن كان أقرب إلى عهد الغزالي من السبكي ، ولكنها مجروحة ، لأنها تناقض رواية معاصر ثقة وهو أبو بكر بن العربي[١] الذي يقول إنه سمع من الغزالي في بغداد في جمادى الثانية سنة ٤٩٠ . وهذه الرواية الثانية تناقض أيضاً ما ذكره ابن الأثير[٢] تحت حوادث سنة ٤٨٨ ﻫ ، قال : « وفيها توجه الإمام أبو حامد الغزالي إلى الشام ... وفي هذه السفرة صنف إحياء علوم الدين ، وسمعه منه الخلق الكثير في دمشق ، وعاد إلى بغداد بعد ما حج في السنة التالية ، وسار إلى خراسان » .

فشهادة ابن العربي ، ورواية ابن الأثير ، تزيل كل منها الغموض من قول الغزالي « أقمت به قريباً من سنتين » وتثبت أنه عاد إلى بغداد في أوائل سنة ٤٩٠ ﻫ . ويؤكد ذلك ما جرى في بلاد الشام في السنتين التاليتين . ففي ٤٩١ ﻫ استولى الفاطميون على القدس ، وكانت حتى تلك السنة في يد السلاجقة . وكان الفاطميون يطمعون في بسط سلطانهم على الشام ، بل على العراق أيضاً ، والقضاء على الخلافة العباسية التي كانت حينئذٍ تحت حماية سلاطين السلاجقة .

فاذا ذكرنا أن الغزالي كان سنياً شافعياً ، وانه كان من أشد أخصام الباطنية ، جاز لنا أن نشك في رغبته الإقامة في بلاد زال عن بعضها سلطان أوليائه السلاجقة ، وبعضها الآخر كانت تهدده جيوش الفاطميين . أضف إلى ذلك أن الصليبيين اجتاحوا معظم ديار الشام في سنة ٤٩٢ ، وان

(١) القواصم والعواصم (مخطوط القاهرة رقم ٢٢٠٣١) ، ورقة ٧ ب : كما نقل في كتاب بدوي المذكور ، ص ٥٤٦ وقد طبع كتاب ابن العربي في الجزائر وفي القاهرة بعنوان « العواصم من القواصم » .

(٢) كتاب الكامل في التاريخ (طبعة ليدن ، ١٨٦٤) ، ج ١٠ ص ١٧٢ .

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

جيوشهم دخلت القدس في رجب من تلك السنة ، وارتكبت فيها من الفظائع ما قل أن سجل التاريخ نظيره . فهل يعقل أن يبقى الغزالي مختاراً تحت حكم غير المسلمين ؟ ومع هذا فلا أثر للحروب الصليبية فيما وصل إلينا من كتابات الغزالي ، فهل شهد سقوط القدس وبقي ساكتاً ؟ هذا أمر يصعب تفسيره ، حتى إذا سلمنا أن الغزالي كان حينئذٍ إما في العـــراق أو في خراسان ، وأن أخبار النكبة وصلته بعد أشهر من وقوعها . فان قيل إن الغزالي وأمثاله من المتصوفة قد اعتبروا ضياع القبلة الأولى عقاباً سماوياً للمسلمين الذين حادوا عن طاعة الله في دينهم ودنياهم ، قلنا لا نجد أثراً لهذا الرأي في كتابات المتصوفة ، أي انهم لم يعظوا الناس بضرب المثل على الأقل .

ومهما يكن سبب سكوت الغزالي فانه يمكننا بناء على ما تقدم أن نقبل شهادة ابن العربي ، وان نحسبها أكثر الروايات انطباقاً على الحوادث التاريخية ، وان نعتمد عليها أكثر من الاعتماد على غيرها ، لأنها جاءتنا من معاصر ثقة سجلها في كتاب له ، ولم تنقل إلينا رواية عن آخرين عاشوا بعد زمن الغزالي .

(٢)

أوّل الناس في عهد الغزالي تركه التدريس وسفره إلى الشام تأويلاً مختلفاً ، وقد رد هو عليهم بأن السبب الذي حمله على ذلك لم يكن إلا دينياً . وخاض بعض الكتاب في أيامنا يؤولون ذلك تما يتطلب الشك في صدق الغزالي ، وهو أمر لا مسوغ له في سيرته قبل ترك التدريس وبعده . فمثلاً زعم باحث غربي (١) أن الغزالي فقد ثقة ولاة الأمور ، وكان يجدر بصاحب هذا الرأي

(1) D. B. Macdonald, "The life of al-Gazzali with Special Reference to his Religious Experience and Opinions" in the Journal of the American Oriental Society, XX (1899), P. 98

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أن يقبل تأكيد الغزالي أن سفره لم يكن « لاستشمار من جهة الولاة » .
وزعم باحث شرقي (١) أن الغزالي هرب خوفاً على حياته من غلاة الباطنية ، وكان يجدر بصاحب هذا الرأي أن يعلم أن سفر الغزالي لم يكن فجأة بل بعد إعلان عام وانه لم يكن خلسة بل علناً ، وان الغزالي لم يتخذ رفيقاً للسفر سوى تلميذه أبي طاهر بن المطهر الشيباني (٢) . فهل كان الغزالي في مأمن من الباطنية في الشام أو في الطريق إليها ، إذا لم يكن في مأمن منهم في بغداد ؟

ولكن ما هو « السبب الديني » الذي جذب الغزالي إلى الشام ، بل ما سبب قوله « أظهرت عزم الخروج إلى مكة ، وأنا أدبر في نفسي سفر الشام » ؟ ثم ما الذي جعله يذكر بعض التفاصيل عن إقامته في دمشق وفي القدس ، ولا يقول شيئاً عن زيارة مكة والمدينة ؟ ليس في مؤلفات الغزالي التي بين أيدينا ما يساعدنا على تفصيل الجواب ، فمثلاً لا نجد في بحث أسرار الحج في كتاب « إحياء علوم الدين » شيئاً عن اختبارات مؤلفه الشخصية ، وكتابه المخصص للاختبارات الشخصية وهو « المنقذ من الضلال » لا يزيدنا علماً . وقد ألفه الغزالي بعد أن جاوز الخمسين ، أو بعد أكثر من عشر سنين من عودته من بلاد الشام ، وبعد أن ذاع صيته في العالم الإسلامي .

إن « السبب الديني » المباشر الذي جذب الغزالي إلى الشام هو نية الحج ، ولكنه قال إنه عزم « المقام بالشام » ، ولم يقل إنه عزم المقام بالحجاز .

(1) Farid Jabra, "la Biographie et l'Oeuvre de Ghazali reconsiderées à la lumière de Tabaqat de Sobki" in Mélanges de l'Institut Dominicain d'Etudes Orientales du Caire, I (1954), P. 91 — 94

(٢) اتحاف السادة المتقين (وهو شرح كتاب احياء علوم الدين) للسيد محمد المرتضى الزبيدي (القاهرة ، ١٣١١) ، ج ١ ، ص ٤٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فما هو السبب الديني الحقيقي الذي جعله يفضل الشام على العراق بل على الحجاز ؟ كان العالم الإسلامي في عهده وحدة علمية دون أن يكون وحدة سياسية ، وكان طلبة العلم والعلماء يجوبون هذا العالم من خراسان إلى الأندلس وبالعكس ، طلباً للاستفادة والإفادة ، فكان كل أهل العلم عالماً متعلماً معلماً . وفي رأينا الذي سنثبته بالبرهان التاريخي فيما يلي أن الغزالي جاء الشام طلباً للاستفادة من شيخ ذاع صيته في الزهد والعلم في كل ديار الشام ، وانتشر منها إلى العراق . وكان هذا الشيخ حينئذٍ حوالى الثمانين والغزالي لم يبلغ الأربعين ، فلم يكن في سنه على الأقل ما يمنع أن يطلب العلم عند من كان في سن أبيه . أضف إلى ذلك أنه عندما ترك التدريس في بغداد ، عزم على الزهد في الدنيا والسير في طريق الآخرة ، ولعل صيت الزاهد الشامي قد بلغه فرغب في لقائه والاستفادة منه .

وهذا الشيخ الزاهد هو أبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي النابلسي ، شيخ علماء المذهب الشافعي في ديار الشام(١) . تلقى العلم في القدس وغزة وصور ودمشق وغيرها ، ثم علّم في القدس وصور ودمشق . قال أحد أهل العلم عنه : «صحبت إمام الحرمين أبا المعالي الجويني [وهو أستاذ الغزالي] بخراسان ، ثم قدمت العراق فصحبت أبا اسحق الشيرازي [سلف الغزالي في المدرسة النظامية] ، فكانت طريقته عندي أفضل من طريقة أبي المعالي ، ثم قدمت الشام فرأيت الفقيه أبا الفتح فكانت طريقته أحسن من طريقتيهما جميعاً .»(٢)

---

(١) راجع الملحق في آخر هذه المقالة .

(٢) طبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ٢٨ . وترد القصة عينها في معجم البلدان لياقوت (طبعة وستنفلد ، ١٨٦٦) ، ج ١ ، ص ٦٠١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يروى أن الغزالي جاء إلى مسجد دمشق في زي صوفي ، وجلس في الركن الذي اعتاد الشيخ نصر أن يجلس فيه للتدريس ، فلما التف حوله بعض الطلبة سألهم « ما فعل الشيخ نصر المقدسي ؟ » فقالوا إنه توفي في ذلك اليوم ، وإنه أوصى أن يخلفه أعجمي وصفه يطابق ما رأوا في الغزالي . ومع أن تفاصيل هذه القصة ليست كلها صحيحة إلا أنها ذات مغزى ، وهو أن الغزالي وجد في الشيخ نصر قدوة فيما كان ينشده من الزهد في الدنيا . (أمَّا الذي خلف الشيخ نصر على التدريس فهو أحد تلامذته : إمَّا نصر الله أبو الفتح المصيصي (١) أو جمال الإسلام أبو الحسن السلمي (٢)) .

هذا في القصص المتواترة . أما كتب التاريخ ففيها ما يؤكد أن الغزالي أخذ عن الشيخ نصر . قال السبكي : « كان الغزالي يكثر الجلوس في زاوية الشيخ نصر المقدسي بالجامع الأموي المعروفة اليوم بالغزالية نسبة إليه ... وصرَّح شيخنا الذهبي بأن الغزالي جالس نصراً . » (٣) وأوضح من ذلك ما جاء في ابن شهبة (٤) وابن العماد الحنبلي (٥) ومجير الدين (٦) أنه « لما قدم الغزالي إلى دمشق اجتمع به واستفاد منه . » قد يكون هذا النص المختصر الوارد في ثلاثة كتب مختلفة من أصل واحد ، ولكن السيد مرتضى (٧)

(١) طبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ١٠٤ .
(٢) اتحاف السيد مرتضى ، ج ١ ، ص ٤٥ .
(٣) السبكي ، ج ٤ ، ص ١٠٤ .
(٤) طبقات الشافعية (مختارات نشرها وستنفلد في غوتنغن سنة ١٨٣٧) ، ص ٥ من النص العربي و ص ٣٣ ــ ٣٤ من الترجمة الألمانية :
Die Academie der Araber und ihre pehrer
(٥) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (القاهرة ، ١٣٥٠) ، ج ٣ ، ص ٣٩٥ .
(٦) كتاب الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل (القاهرة ، ١٢٨٣) ، ج ١ ، ص ٢٦٤ .
(٧) الاتحاف ، ج ١ ، ص ١٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

يقبله دون تردد . فعند ذكره أساتذة الغزالي يذكر الشيخ نصر أستاذاً له في علم الحديث ، وهو أمر غير مستغرب لما عرف عن الغزالي من قلة التمكن في هذا العلم .

بناء على ما تقدم يصح القول ان الغزالي اعتبر الشيخ نصر قدوة له في حياة الزهد ، وانه اتخذه أستاذاً في علم الحديث على الأقل . ولكن اتصالهما كان قصير الأمد . فالغزالي كما ثبت لنا ترك بغداد في ذي القعدة من سنة ٤٨٨ ، وعاد إليها قبل جمادى الثانية من سنة ٤٩٠ هـ . فاتصاله بالشيخ نصر كان معظمه في سنة ٤٨٩ هـ ، وهي السنة التي حج فيها الغزالي ، وزار فيها القدس والخليل . فالثابت عند كل من أرخ حياته أن الشيخ نصر توفي في محرم سنة ٤٩٠ . وقد تكون وفاته من الأسباب التي حملت الغزالي عند عودته من الحج أن يقرر مغادرة ديار الشام عائداً إلى بغداد .

(٣)

ذكر ابن الأثير ، على ما نقلناه أعلاه أن الغزالي صنف كتاب « إحياء علوم الدين » في أثناء رحلته ، وأن الناس سمعوه منه في دمشق . ويشهد ابن العربي أنه سمع الغزالي في بغداد يقرأ للناس من كتاب سماه « إحياء علوم الدين » . فيفهم من كلام ابن الأثير أن الكتاب كله كان مكتوباً ، ولكن لا يفهم ذلك قطعاً من كلام ابن العربي . هذا مع أنه لا يستبعد أن الغزالي استمد البركة والإلهام فكتب بعض كتابه في القدس وبعضه في دمشق وبعضه في الحجاز . ولكن لا برهان على أن الكتاب كما نعرفه الآن كان تاماً عند عودة الغزالي إلى بغداد . والشك في ذلك ظاهر من احتياط مجير الدين الذي عاش بعد الغزالي بأربعة قرون : « ويقال انه صنف في القدس إحياء علوم الدين . »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أقام الغزالي في القدس في الزاوية أو المدرسة الناصرية بباب الرحمة من أبواب الحرم الشريف ، وقد سميت بهذا الاسم نسبةً إلى الشيخ نصر الذي علم فيها قبل هجرته إلى دمشق ، وقد عرفت فيما بعد بالغزالية (١) . ولعل الغزالي اختارها من زوايا القدس ومدارسها بناء على توجيه الشيخ نصر ، أو رغبةً من التلميذ في تتبع آثار أستاذه . والذي يؤخذ من نص صريح أن الغزالي كتب وهو في القدس « الرسالة القدسية في قواعد العقائد » ، وأنه بعد ذلك أدمجها في الجزء الأول من الإحياء أي في الفصل الثالث من كتاب قواعد العقائد (٢) : « وإذ رأينا أن نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها ، وانهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الأولى ، إلا إذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة ، فيرقى في الدرجة الثانية إلى عقيدة فيها من لوامع الأدلة مختصرة من غير تعمق . فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر على ما حررناه لأهل القدس وسميناه الرسالة القدسية في قواعد العقائد ... »

وهذه الرسالة كاملة في ذاتها (٣) ، ويشير إليها كاتبها في غير موضعها من الإحياء بقوله : « كتاب الرسالة القدسية » (٤) . وقد راجعنا ثلاث نسخ

(١) الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (مطبوعة جعفر الحسني . دمشق ، ١٣٦٧) ، ج ١ ، ص ٤١٣ ـ ٤١٥ ، وطبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ١٠٤ .

(٢) إحياء علوم الدين (القاهرة ، ١٣٣٤) ، ج ١ ص ٩٣ .

(٣) توجد نسخ مخطوطة مختلفة من الرسالة القدسية في المكاتب في الشرق والغرب . راجع كتاب بدوي المذكور ، ص ٢٦ ـ ٢٧ وراجع أيضاً :
Maurice Bouyges, Essai de chronolcgie des OEuvres de al-Ghazali (Beirut, 1959), P. 108 .

(٤) زعم القس غاردنر في كتيب عن الغزالي نشره في مدراس سنة ١٩١٩ ان الرسالة لم تكتب لأهل القدس ، وانها كتبت في السنة الأولى من اقامة الغزالي في بغداد (ص ٣٨ ، ١١١) وهذا الزعم بشقيه باطل بناء على الحقائق التي مر ذكرها .

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مخطوطة . أما الأولى فهي من كتاب الإحياء وفيه الرسالة ، وهي مؤرخة سنة ٦١٠ هجرية ، وموجودة في مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية بجامعة لندن تحت رقم ٢٦٥٧٤ ، وأما الثانية فهي من الرسالة على حدة ، وهي مؤرخة سنة ٧٧٩ هجرية وموجودة في دار الكتب في القاهرة تحت رقم « مجاميع ٦٦ » ، وأما الثالثة فهي من كتاب الإحياء وفيه الرسالة ، وهي مؤرخة سنة ١١٦٠ للهجرة ، وموجودة في مكتبة جامعة لندن المذكورة تحت رقم ٤٥٨١٨ .

ونجد على صفحة العنوان في مخطوطة القاهرة كلمة بخط الناسخ هذا نصها : « وهي الرسالة التي كتبها لأهل القدس ، ثم أودعها كتاب قواعد العقائد ، وهو الثاني من كتب الإحياء ... » . وفي آخر هذه المخطوطة ، وبخط غير خط الناسخ ، توجد هذه الكلمة : « وفرغ من تصنيفه في المسجد الأقصى ، مجيباً لالتماس أهله ، وراجياً أن يناله بركة دعاء سكانه ... »

وتنتهي الرسالة في مخطوطة جامعة لندن المؤرخة سنة ١١٦٠ للهجرة بكلمة كأنها من الغزالي نفسه ، وهذا نصها : « وقد فرغت من تصنيفه في المسجد الأقصى ، مجيباً لالتماس أهله ، وراجياً لأن نتال بركته وبركة دعاء سكانه ... » . وفي الهامش ، وبخط الناسخ نفسه ، هذه الكلمة : « وقد فرغت من الرسالة القدسية التي أودعتها في هذا الفصل في المسجد الأقصى ، مجيباً لالتماس أهله ، وراجياً لأن نتال بركته وبركة دعاء سكانه ... »

إن الضمير في « تصنيفه » قد يعود تقديراً إلى « كتاب الرسالة القدسية » ، وقد يعود إلى كتاب الإحياء كله . ولعل القصد من قوله في الهامش « فرغت من الرسالة القدسية » هو إزالة هذا الالتباس . ولكنه لا يمكننا أن نتحقق هل ما في الهامش هو حذلقة من الناسخ أو نقل عن نص ورد في نسخة أخرى ، ويعود نهائياً إلى الغزالي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

والرسالة القدسية فريدة في موضوعها بين مؤلفات الغزالي . قال السبكي : « لم أر مصنفاً في أصول الدين إلا أن يكون قواعد العقائد » . فالرسالة القدسية هي جزء مبهم من قواعد العقائد ، كتبها مؤلفها على طريقة المتكلمين أصحاب الأشعري . وهي خاصة بالمبتدئين لا بالعلماء المتمكنين ، وغرضها توضيح العقيدة ، وإثبات السنة ، وإبطال البدعة ، ففيها ردود كثيرة على المعتزلة ، ولكنها قلما تتعرض للفلاسفة . وتتبع في إقامة البرهان القرآن والقياس المنطقي ، ولكنها تغلّب الأول على الثاني . فالعقل نصير النقل ، وهذا عند الشك مقدم على ذاك . ويتضح هذا التقديم في أقسام الرسالة الأخيرة ، فمعظمها قائم على أساس النقل وحده ، والمؤمن مكلف بقبوله .

وقد أعددنا نصاً محققاً للرسالة القدسية ، وترجمناه إلى الإنكليزية ، ووضعنا له الحواشي والشروح ، وكتبنا له مقدمة تاريخية مفصلة . وهذا كله الآن تحت الطبع في عدد مزدوج خاص من مجلة المركز الإسلامي الثقافي في لندن (١) .

★ ★ ★

ملحق

أبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي النابلسي

توفي في دمشق في التاسع من محرم سنة تسعين وأربعمئة ، وكان عمره حينئذٍ فوق الثمانين ، صرف السنوات العشر الأخيرة منها في دمشق « يحدث ويفتي ويدرس » .

(١) The Islamic Quarterly IX 3 - 4 (1385 / 1965) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سلك منهاج الزهد والتقشف ، والورع والتبتل ، وتجنب ولاة الأمور . «وكان يقتات من غلة تحمل إليه من أرض له بنابلس [٢]» . ولا شك أن المقصود هو منطقة نابلس لا المدينة نفسها ، فاذا كان الأمر كذلك ، فقول ياقوت [٣] إن أصل الشيخ من «طرابلس» لا يثبت ، لأننا لا نعلم مصدراً آخر غير ياقوت يذكره ، ولأنه يستبعد أن يملك من كان أصله من طرابلس أرضاً في ضواحي نابلس ، ولأن باقي من أرخ حياة الشيخ نصر يذكر أن أصله من نابلس . وغالب الظن أن «طرابلس» عند ياقوت محرفـــة عن «طوباس» ، وهي قرية من أعمال نابلس ، أو انها محرفة عن نابلس .

ومن شيوخ الشيخ نصر ، عبد الرحمن بن الطبير (أو الطبيز) في دمشق ، ومحمد بن جعفر المياسي (أو المياشي) في غزة ، وسليم بن أيوب الرازي في صور . ومن تلامذته جمال الإسلام أبو الحسن السلمي ، ونصر الله أبو الفتح المصيصي ، وكانا من أخصهم به ، ومنهم (القاضي) أبو بكر بن العربي الذي سمع من الشيخ نصر كما سمع من الغزالي قبل رجوعه الى الأندلس .

وله مؤلفات لا يعرف منها سوى الأسماء . فمنها التهذيب ، والتقريب ، والمقصود ، والكافي ، والإشارة ، والحجة على تارك المحجة [١] . وجاء في وصف كتاب المقصود أنه أحكام مجردة ، وفي وصف كتاب الإشارة أنه شرح لمختصر شيخه سليم الرازي . ويذكر السبكي كتاباً آخر عنوانه الانتخاب ، «وهو فيما بلغني كبير في بضعة عشر مجلداً .»

---

(١) طبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ٢٨ وشذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٩٥ .

(٢) معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٠٠ .

(٣) طبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ٢٨ ، وشذرات الذهب ج ٣ ، ص ٣٩٥ ، والأنس الجليل ، ج ١ ، ص ٢٦٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وتروى عنه قصة توضح مكانة العالم عند نفسه وعند ولاة الأمور ، وتبين أن زهد الشيخ نصر كان حقيقياً لا شك فيه. ذكروا أن تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان زار الشيخ يوماً ، فلم يقم هذا له ، فسأله عن أحل الأموال التي يتصرف فيها السلطان ، فقال الشيخ أحلها أموال الجزية ، فخرج تاج الدولة وأرسل للشيخ بمبلغ من المال ، وقال هذا من مال الجزية تفرقه بين أصحابك . فرد الشيخ المال قائلاً « لا حاجة لنا به . » (١)

ودفن الشيخ نصر بالباب الصغير في دمشق قريباً من قبر معاوية ؛ ونقل السبكي أن النووي قال : « سمعنا الشيوخ يقولون الدعاء عند قبره يوم السبت مستجاب . »

عبد اللطيف الطيباوي

(١) معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٠١ وطبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ٢٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net